ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير فى السرعة والبطء، والنبى ﷺ ذكر هذا تقريبا للأفهام، ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثنى أبو هانئ التجيبى سمعت أبا على التجيبى سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو أبعد مما بين السماء والأرض، قلت: يا رسول الله لمن؟ قال: للمجاهدين فى سبيل الله»** (1).

* * * * * * *

الباب الثامن عشر
فى ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم(2) فى صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا على، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى»**.

وقال أحمد(3): أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا صليتم على فسألوا الله لى الوسيلة. قيل : يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو»** هكذا الرواية "أن أكون أنا هو" ووجهها أن تكون الجملة خبرا عن اسم كان المستتر فيها، ولا تكون أنا فصلا ولا توكيدا بل مبتدأ.

وفى الصحيحين(4) من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة(5) والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته، إلا حلت له شفاعتى يوم القيامة»**. هكذا لفظ الحديث (مقاما) بالتنكير ليوافق لفظ الآية. ولأنه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة، فوصف بما توصف به المعارف، وهذا ألطف من جعل "الذى وعدته بدلا"، فتأمله.

---

(1) سبق تخريجه.
(2) مسلم فى الصلاة: ب(7) حديث (11).
(3) أحمد (2/ 168).
(4) البخارى فى الأذان: ب(8): حديث (614)، ومسلم فى الصلاة: ب(7): حديث (11).
(5) الوسيلة: هى فى الأصل ما يتوصل به إلى الشىء يتقرب به، وجمعها: وسائل. والمراد فى الحديث: القرب إلى الله تعالى. "النهاية" (185/5).

وفي المسند[1] من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«الوسيلة درجة عند الله – عز وجل – ليس فوقها درجة، فسلوا الله لي الوسيلة»**.

وذكره ابن أبي الدنيا[2] وقال فيه: [درجة في الجنة ليس في الجنة أعلى منها، فسلوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق].

وقال أبو نعيم[3]: أنبأنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن عمرو بن سلم الخلال،حدثنا عبد الله بن عمران العبادي، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة: قالت: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي و أحب إلي من كذا وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذ ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يردّ عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية:**{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}**[4] قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: لا أعلم بإسناد هذه الحديث بأسا.

وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة؛ لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله، وأصل الاشتقاق لفظ الوسيلة من القرب، وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه.

قال لبيد[5] : * بلى كل ذي رأى إلى الله واسل[6] *

ومعنى الوسيلة: من الوسلة[7]، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها، وأعظمها نورا، وقال

---

(1) (صحيح) أحمد (83/1).

(2) ابن أبي الدنيا هو: الإمام المحدث عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي. قال الذهبي: كان أديبا صدوقا، إخباريا كثير العلم. مات سنة (281). له ترجمة في: تاريخ بغداد (89/10) والنجوم الزاهرة (86/3)، البداية والنهاية (71/11).

(3) (صحيح) الحلية (125/8).

(4) آية (69) سورة النساء.

(5) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك شاعر من أصحاب المعلقات مخضرم . أسلم . ومدح النبي عليه السلام. وله قصيده شهيرة ومنها هذا البيت . الذي قال فيه النبي أصدق كلمة قالها لبيد :

أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ اللهَ باطِلُ ::: وَكُلُّ يغَيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

توفي سنة : 41هـ

(6) هذا عجز بيت وصدره :

أرى الناسَ لا يَدْرون ما قدر أمرهم ::: بَلَى كُلّ ذي رأيٍ إلى الله واسلُ

(7) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير . مختار الصحاح : وسل .

5 صالح ابن عبد الكريم: قال لنا فضيل[1] بن عياض: أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها.

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: "نور سقف مساكنكم نور عرشه". وقال بكر عن أشعث عن الحسن: "إنما سميت عدن، لأن فوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور، والقربى والزلفى: واحد، وإن كان فى الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل" .

وقال الكلبى: "اطلبوا إليه القربى بالأعمال الصالحة" وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف، بقوله:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}[2]فقوله: {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} هو تفسير للوسيلة التى يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون فى القرب منه.

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به. وأشدهم له خشية، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهى أعلى درجة فى الجنة، وأمر النبى ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان.

وأيضا فإن الله - سبحانه - قدرها له بأسباب، منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، وصلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: "حلت عليه" يروى: "عليه"[3] و "له" فمن رواه باللام فمعناه حصلت له، ومن رواه بـ"على"، فمعناه وقعت عليه شفاعتى. والله أعلم.

* * * * * * *

الباب التاسع عشر
فى عرض الرب تعالى سلعته - الجنة - على عباده وثمنها الذى طلبه منهم وعقد التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ

---

(1) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى أبو على الزاهد، أحد العباد. قال ابن سعد: كان ثقة نبيلا، فاضلا عابدا، كثير الحديث. مات سنة (187). له ترجمة فى وفيات الأعيان (415/1)، وشذرات الذهب (316/1).

(2) آية (57) سورة الإسراء.

(3) سبق تخريجه.